الدرس (05): النقد البنيوي

تمهيد:

تعد **البنيوية** في النقد الأدبي ثمرة من ثمرات التفكير الألسني الذي ميز العصر الحديث. حيث، إنه بمجيء "**دي سوسير**" حدثت الانعطافة الكبرى في الدراسات اللغوية بدعوته إلى دراسة اللغة دراسة تزامنية، كما هي(البنيوية) امتداد طبيعي للشكلانية الروسية التي أحدثت من جانبها تيارا من الدراسات الأدبية والنقدية مهد الطريق لنمو علم اللغة البنيوي، وبصفة خاصة خلال إنجازات مدرسة براغ التي نهضت على النظرية الشكلية.

وتمت الإشارة سابقا إلى أن الشكلانيين بذلوا جهودهم لاكتشاف القوانين الباطنية التي تتحكم في العمل الأدبي، وسعوا لوضع قواعد التحليل البنيوي من خلال دراسات متعمقة تبحث في العلاقة بين الأدب واللغة، استنتجوا من خلالها أن الأدب نظام علامات يستند إلى نظام آخر هو اللغة.

مولد البنيوية:

بدأت **البنيوية** بالظهور في العشرينيات من القرن العشرين، وذلك في مدينة براغ بعد أن تحول إليها شكلانيون روس، وعلى رأسهم "**جاكوبسون**" الذي يعد المؤسس الحقيقي **للبنيوية** حيث دعا إلى القضاء على المناهج النقدية التقليدية، واستثمار علوم اللغة لتأسيس مناهج جديدة كان من نتائجها اعتبار العمل الأدبي منظومة من العلاقات الشكلية[1]. والمعروف أن مصطلح **البنيوية** يرجع إلى مدرسة براغ حين أطلقه عليها "**جاكوبسون**" في عام 1929، ليتحول هذا المصطلح إلى نظرية من أشهر النظريات التي لم تقصر نشاطها على مجالات الأدب والفن، على أن حماس البراغيين لتبني النظرية **البنيوية** يعود إلى سعيها الدؤوب إلى البحث عن منهج نقدي تحليلي موضوعي يبتعد عن الخيال والانطباع الذاتي الذي يميز الرومانسية، ويبتعد كذلك عن المعارف والحقائق الصادرة عن الحواس كأدوات لإدراك الواقع واختبار مكوناته وعناصره مما يميّز النظرية الوضعية المنطقية.

أدى هذا التناقض بين هاتين النظرتين بأصحاب حلقة براغ إلى البحث عن نظرية ثالثة، فكانت **البنيوية** حلا موضوعيا لهذه الإشكالية أو هذا التضاد والأكثر من ذلك، أن "**جاكوبسون**" وهو من أبرز– مؤسسي مدرسة

[1]– ينظر: نبيل راغب، موسوعة النظريات الأدبية، ص:583.

براغ– قد برر سنة 1929 حاجة الأدب إلى النقد البنيوي مواكبة للفكر العلمي الحديث مستخدما كلمة **بنيوية** حين قال: "حال أن نجمل الفكرة التي يهتدي بها العلم حاليا في مختلف تجلياته، لن نجد وصفا ملائما سوى **بنيوية**؛ فالعلم المعاصر عندما يتناول وضع ظاهرة ما بالدراسة يتناوله من حيث هو كل بنيوي مكتمل وليس هو مجرد حشد آلي للعناصر، ذلك أن مهمته الأساسية استجلاء القوانين الداخلية لهذا النسق، والكشف عمّا إذا كان النّسق إستاتيكياً أم ديناميا"[1].

كان **مولد البنيوية** في فرنسا مرتبطا بالثورة على الدراسات الأدبية التقليدية ذات النزعة الماركسية أو الوجودية أو التاريخية أو النفسية، فالبنيويون يرفضون المنهج الاجتماعي لرفضه حقيقة الخطاب بسبب إيمانه الشديد بعلاقة الأدب بالمحيط الاجتماعي، مثلما يرفضون منهج التحليل النفسي الذي يتجافى عن النص وبنيته، إلى صاحب النص وطفولته، وعائلته، وحياته، وعلاقاته الاجتماعية.

لذلك، جاء النقد البنيوي مشككا في الكثير من القيم الأدبية والنقدية السائدة، قائلا بأن لا شيء يوجد خارج النص، ولا قبله، ولا بعده، غير النص، متقمصا نزعة نقدية خالصة أدبية، إحساسا منه بما كابد الأدب من تدخل المذاهب الفلسفية والنزعات الإيديولوجية وتطفلها على المسار الأدبي، بل وجرأتها على الاعتداء على طرائق قراءة الأدب وتحليل نصوصه، أحيانا باسم الفكر، وأحيانا باسم العلم...

كان لا بد من أن ترتفع أصوات تنادي باستقلالية النزعة النقدية، أي باستقلالية الأدب كاستقلال كثير من العلوم... من هنا، ابتعد البنيويون الفرنسيون عن تراث أسلافهم[2] بوضع المنهج نصب أعينهم، ولم يكن التفسير هدفهم، بل قراءة النصوص أولا، ثم التوصل إلى فهم طرائق الكتابة الأدبية أو أنواعها ووسائل قيام كل منها بعمله أو إحداث تأثيره... ومن هؤلاء "**رولان بارت**" الذي تهجم على النّقد الأدبي لأنه يضع النص في سياق معين، أيا كان هذا السياق فيمنحه معنى من المعاني أو يحكم عليه؛ ذلك بخلاف "**علم الأدب**" الذي يدرس أحوال وشروط ذلك المعنى، والأبنية الشكلية التي تنظم النص من الداخل وتتيح له أن يكتسب معاني كثيرة.

---

[1]- تأليف جماعة من الباحثين، من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية، ترجمة عدد من الدارسين. ص:67.

[2]- ينظر: محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة، ص:104-105.

إلى جانب "**بارت**"، أدرك عالم الأنتروبولوجيا"**ليفي شتراوس**" أن المنهج التاريخي والتحليلي لدراسة البنى الاجتماعية وتحليل علاقات المجتمعات الأولية لا يسفر عن نتائج يقينية أو مقنعة، وأن النموذج اللغوي يمكن أن يكون عونا وأشد خصوبة من التحليل التاريخي[1]. على أن دراسة " **ليفي شتراوس**" في "**الانتروبولوجيا البنائية**" من جملة ما هيأ لانتقال منهج البنيوية اللغوية إلى مجالات وأنماط من البحث غير لغوية ومنها النقد الأدبي، ولعل ما يبرر استقطاب النقد الأدبي لنموذج اللغة، كون الأدب جسدًا لغويا مادته الأولى هي اللغة لا الأفكار ولا المشاعر ولا الآراء.

البنيوية في النقد الأدبي:

ليست **البنيوية** في النقد الأدبي – باعتبارها مقاربة، ومنهجا، وتصورا- شكلا واحدا بل هي بنيويات عدة، وليس بنيوية واحدة في نظر الكثير من الباحثين والنقاد فمثلا يرى **محمد عزام** في كتابه " **تحليل الخطاب الأدبي**" أن لها تيارين مخصصا بابا لكل تيار منهما، وهذان التياران هما: **البنيوية الشكلية، والبنيوية التكوينية.** وفي نظر **وليد قصّاب،** إن **للبنيوية** صورا أبرزها ثلاث؛ هي[2]: **البنيوية اللغوية** (تلك التي قامت على آراء "**دي سوسير**" ثم انتقلت إلى الأدب والنقد)، **والبنيوية الأدبية الشكلية** (تلك التي تهاجم المناهج النقدية التقليدية وتنظر إلى النص الأدبي على أنه مستقل بنفسه مكتف بذاته لا وجود ولا امتداد له خارج كيانه اللغوي...)، **والبنيوية الأدبية التكوينية** (وهي تلك التي تسمح بنوع من العلاقة بين الأدب والمجتمع، ونشأت في أحضان الفكر الماركسي). أما **إبراهيم عبد العزيز السمري** نظر إلى **البنيوية** في مجالين[3] مجال علم اللغة ومجال الدراسة الأدبية؛ ففي مجال الدراسات اللغوية نجد: **البنيوية السوسيرية** وتفرعت بدورها إلى مدارس، كالمدرسة الوظيفية الوصفية مع"**أندريه مارتينيه**"،"**رومان جاكسون**"، " **تروبتسكوي**"، ومدرسة كوبنهاجن مع "**بروندال**" ،و"**هلمسليف**"، والمدرسة التوزيعية مع "**بلومفيلد**"،و"**هاريس**"،و"**هوكيت**"hockett، وبنيوية تفسيرية مع "**تشومسكي**"،وبنيوية تداولية وبراغماتية ووظيفية مع "**قان ديك**" و"**هاليداي**".

---

[1]- ينظر: صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص:62.

[2]- ينظر: وليد قصاب، مناهج النقد الأدبي الحديث، ص:124-146.

[3]- ينظر: إبراهيم عبد العزيز السمري، اتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين، ص: 214-215.

أما عن **البنيوية** في مجال **الأدب ونقده،** يذكر **السمري** أنها تفرعت إلى: بنيوية سردية مع "**رولان بارت**" و"**كلود بريمون**"، و"**جيرار جينيت**"...،وبنيوية أسلوبية مع "**ريفاتير**"،و"**ليوسبتزر**"، **و"ماروزو**"، و"**بيتر جيرو**"،وبنيويّة شعرية مع "**جان كوهين**"،و"**مولينو**" و"**جوليا كريستيفا**"،و"**لوتمان**"،وبنيوية سيميولوجية مع "**جريماس**" و"**فليب هامون**" و"**جوزيف كورتيس**"، وبنيويّة نفسية مع "**جاك لا كان**" و"**شارل مورون**"،وبنيوية أنتروبولوجية مع "**كلود ليفر شتراوس**"وبنيوية فلسفية مع "**جان بياجيه**" و"**ميشيل فوكو**" و"**جاك دريدا** "، و" **لوي ألتوسير**"...وبنيوية تكوينية مع " **لوسيان غولدمان**"...